باب الزُّهْد

٤٨٥

قافية الباء

قال :

١ إذا ما شُبْتَ حُسْنَ الدِّيـ ـن مِنْكَ بِصَالحِ الأَدبِ

٢ فمِمَّنْ شِئْتَ كُنْ فلَقَدْ فَلَحْتَ بِأَكْرَمِ النَّسَبِ

٣ فنفسُكَ قَطُّ[1] أَصلِحْها ودَعْنِي مِنْ قَدِيم أَبِ

[فى ثانى الوافر]

---

(١) م : حسب .

٤٨٦

قافية الراء

وقال :

١ أَلِلْعُمرِ فى الدُّنيا تُجِدُّ وتَعمُـرُ
وأَنتَ غَدًا فِيها تَمُوتُ وتُقْبَرُ ؟

٢ تُلَقِّحُ آمالًا وتَرجُو نَتاجَها
وعُمْرُكَ مِمّا قدْ تُرَجِّيه أَقصَرُ؟!

٣ وهذا صَباحُ اليومِ يَنْعَاكَ ضَوؤُهُ
ولَيْلتُه تَنعاكَ إنْ كنتَ تَشْعُرُ

٤ تَحُومُ على إدراكِ ما قد كُفِيتَه
وتُقْبِلُ بالآمالِ فيهِ وتُدْبِرُ

٥ ورِزْقُكَ لا يَعدوكَ إمّا مُعَجَّلٌ
على حالة يوماً وإمّا مُؤَخَّرُ

٦ ولا حَوْلٌ مُحْتالٍ ولا وَجْهُ مَـذْهَبٍ
ولا قَدَرٌ يُزجِيـه إلَّا المُقَـدِّرُ

٧ لقَدْ قَدَّرَ الأَرزاقَ مَنْ ليسَ عادِلاً
عنِ العَدْلِ بينَ النَّاسِ فِيما يُقدِّرُ

٨ فلا تـأْمنِ الدُّنيا إذا هىَ أَقبلَتْ
عليكَ فما زَالتْ تَخُونُ وتُدْبِرُ

٩ فما تَمَّ فيها الصَّفْوُ يوماً لِأَهلِه
ولاَ الرِّفْقُ [1] إلاّ رَيْثَما يَتغيَّرُ

١٠ وما لاحَ نجْمٌ لا ولا ذَرَّ شارِقٌ
على الخَلْقِ إلاَّ حَبْلُ عُمْرِكَ يَقصُرُ

١١ تَطَهَّرْ وأَلحِقْ ذَنْبَكَ اليومَ تَوْبَةً
لعَلَّك مِنه إنْ تَطهَّرتَ تَطْهَرُ

١٢ وشَمِّرْ فقَدْ أَبدَى لكَ الموتُ وجْهَه
وليسَ يَنالُ الفوْزَ إلاّ المُشَمِّرُ

١٣ فهذِى اللياَلى مُؤْذناتُكَ بالبِلَى
تَروحُ وأَيّامٌ بذَلِكَ تَبْكُرُ

١٤ وأَخلِصْ بِذَا لِلهِ صَدْرًا ونِيَّـةً
فإِنَّ الذى تُخْفِيه يوماً سَيظهَرُ

١٥ وقَدْ يَسْترُ الإِنسانُ باللّفظِ فِعْلَه
فيُظهِرُ مِنه الطَّرْفُ ماكانَ يَستُرُ

(١) هذه أقرب قراءة لها فيما بقى من الأصول ، وهى جائزة ، ولكنى أرجح أن تكون « الرزق » .

١٦ تَذَكَّرْ وفَكِّرْ فى الذى أَنتَ صائرٌ
إليه غَدًا إنْ كنتَ مِمّنْ يُفَكِّرُ

١٧ فلا بُدَّ يوماً أَنْ تَصِيرَ لِحُفْرةٍ
بأَثنائها تُطوَى إلى يومِ تُنْشَرُ

[فى ثانى الطويل] .

٤٨٧

قافية السين

وقال :

١ أَرَى أَلِفَات قَدْ كُتِبْنَ على رَاسِى
بِأَقلامِ شَيْب فى مَهارِقِ أَنقاسِ

[من الطويل]

١ – «المَهَارِق» جَمْع مُهْرَق وهو القِرْطاس ، وأَصلُه فارسىّ مُعرَّب ، وقد تَكلّموا به قديماً ، و «الأَنقاس» جمع نِقْس وهو المِدَاد : يعنى أَنَّ الشَّيْبَ قد كتبَ أَلفاتٍ فى رأسِه ، والعادةُ أَن يكونَ الكِتابُ[1] أَسودَ والقِرْطاسُ أَبيض، والذى فَعَله الشيبُ بالعَكْس لأَنَّ الذى كتَبه أَبيض والمهَارِقُ سُود ، وإنما يعنى مَفَارِقَ رأسِه .

٢ فإِنْ تَسْأَلِينى مَنْ يَخُطَّ حُرُوفَه
فأَيدِى[2] اللَّيالى تَستَمِدُّ بأَنفاسِى

٣ جَرَتْ فى قُلُوبِ الغَانياتِ لِشَيْبَتى[3]
قُشَعْرِيرَةٌ مِنْ بعدِ لِينٍ وإِيناسِ

---

(١) الكتاب معروف ، وهو هنا الدواة ، قال فى اللسان : الكتاب الصحفية والدواة .
(٢) م : فكف الليالى .
(٣) م : لهيبتى .

٤ وقَدْ كنتُ أَجرِى فى حَشاهُنَّ مَرَّةً
مَجارِىَ جَارِى الماءِ فى قُضُبِ الآسِ

٥ فإِنْ أُمسِ مِنْ وَصْلِ الكَواعِبِ آيِساً
فآخِرُ آمالِ العِبادِ إِلى اليَاسِ

٤٨٩

قافية العين

وقال :

١ تُحَاوِلُ شيئاً قَدْ تَولَّى فَودَّعا
وهَيْهاتَ مِنه أَنْ يَعُودَ [١] فَيرجِعَا !

٢ خَشُنْتَ على التَّأْدِيبِ فَهْمًا ومَنْطِقاً
ولِنْتَ على الأَيَّامِ لِيتاً وأَخْدَعا [٢]

٣ وأَقبَلتِ الأَيَّامُ تَرتادُ مَصْرَعاً
لِجَنْبِكَ [٣] فارتَدْ إِذْ تَيقَّنْتَ مَضْجَعَا

[من الطويل]

---

(١) م : أن يؤوب .
(٢) الليت والأخدع عرقان فى صفحتى العنق .
(٣) م : بجسمك .

٤٩٠

قافية الياء

وقال :

١ أَلَمْ يَأْنِ تَرْكى لا عَلَيَّ ولا لِيَا
وعَزْمى على ما فيهِ إصلاحُ حالِيَا ؟

٢ وقَدْ نالَ منِّى الشَّيْبُ وابيَضَّ مَفْرِقى
وغَالَتْ سَوَادِى شُهْبَةٌ فى قَذَالِيَا !

٣ وحالَتْ بِىَ الحَالاتُ عَمّا عَهِدْتُها
بِكَرِّ اللَّيالى واللَّيالى كَماهِيَا !

٤ أُصَوِّتُ بالدُّنيا وليسَتْ تُجيبُنى
أُحاوِلُ أَنْ أَبقَى وكيفَ بَقائِيَا ؟

٥ وما تَبْرَحُ الأَيَّام تَحذِفُ[1] مُدَّتى
بعَدٍّ حِسَابٍ لا كَعَدٍّ حِسَابِيَا

٦ لِتَمْحُوَ آثارِى وتُخْلِقَ جِدَّتى
وتُخلِىَ مِنْ رَبْعى بِكُرْه مَكانِيَا

[من الطويل]

---

(١) م : تجذب .

٧ كما فَعلَتْ قَبْلى بِطَسْمٍ وجُرْهُمٍ
وآلِ ثَمُودٍ بعدَ عادِ بنِ عَادِيَا

٨ وأَبقَى صَرِيعاً [١] بينَ أَهْلِي جَنازَةً
ويَحْوِى ذَوُو المِيراثِ خالِصَ مالِيَا

٩ أَقُولُ لِنَفْسِى حينَ مالَتْ بِصَغْوِها [٢]
إلى خَطَرَاتٍ قَدْ نَتَجْنَ أَمانِيَا

١٠ هَبِينى مِنَ الدُّنيا ظَفِرْتُ بكلِّ ما
تَمنَّيْتُ أَو أُعطِيتُ فوقَ أَمَانِيَا

١١ أَليسَ اللَّيالى غاصِباتى بِمُهْجَتى
كما غَصَبَتْ قَبْلى القُرونُ الخَوالِيَا ؟

١٢ ومُسْكِنَتى لَحْدًا لَدَى حُفْرَةٍ بِها
يَطُولُ إلى أُخرَى اللَّيالى ثَوائِيَا ؟

١٣ كمَا أَسكَنَتْ سَاماً وحاماً ويافِثاً
ونُوحاً ومَنْ أَضحى بمكَّةَ ثَاوِيَا ؟

١٤ فقَدْ أَنِسَتْ بالمَوْتِ نَفْسِى لأَنَّنى
رَأَيْتُ المَنايا يَخْترِمنَ حَياتِيَا

---

(١) م : جديعاً .
(٢) قال فى اللسان : صغا إليه سمى يصغو صغوًا ، وصغى يصغى صغياً ، مال ، وأصغى إليه رأسه وسمعه أماله ، وصغوت إليه برأسى صغوا وصغاً .

١٥ فياليتَنى مِنْ بَعْدِ مَوْتى ومَبْعَثى
أَكونُ رُفاتاً لا عَلَىَّ ولا لِيَا

١٦ أَخافُ إلاهِى ثُمَّ أَرجو نَوالَه
ولكنَّ خَوْفى قاهِرٌ لِرَجائِيَا !

١٧ ولوْلا رَجائى واتِّكالى على الذى
تَوحَّـــدَ لى بالصُّنْعِ كَهْلاً وناشِيَا

١٨ لَما سَاغَ لى عَذْبٌ مِنَ الماءِ بارِدٌ
ولا طابَ لى عَيْشٌ ولا زِلْتُ باكِيَا

١٩ على إثْرِ ما قَدْ كانَ منِّى صَبابَةً
ليالىَ فيها كنتُ لِلّهِ عاصِيَا

٢٠ فإنِى جَدِيرٌ أَنْ أَخافَ وأَتَّقِى
وإنْ كنتُ لم أُشرِكْ بِذى العَرْشِ ثانِيَا

٢١ وأَدَّخِرَ التَّقوَى بِمجْهُودِ طاقَتِى
وأَركَبَ فى رُشْـــدِى خِلافَ هَوائِيَا

* * *

قال الشيخ الإمام أبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى رحمه الله :
هذا آخر شعرِ أَبى تَمَّام حبيب بن أوس الطائى وجَمْع ما اتَّفق إثباتُه من التفاسير والإعراب ، ممّا ذكرَه أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التَّنُوخى المعرّى فى كتابه الموسوم بـ « ذكرى حبيب » ، وممّا ذكره أبو على

أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى فى تفاسيره وفى كتابه الموسوم بـ « لانتصار من ظَلَمَةِ أَبى تمام » فى الرَّد على مَن رَدَّ على أَبى تمام وعابَه فى مواضعَ من شعره ، وممّا ذكره أَبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب صاحب كتاب « مبادئ اللغة » ، ومن كلام الصولى وغيره . وعلامة أَبى العلاء (ع) فى بعض المواضع ، وعلامة المرزوقى (ق) ، وعلامة الخطيب (الشيخ) اتِّباعاً للنسخة المقروءة عليه . فإن وُجِد فيما كتبتُه سهوٌ أَو تحريف وظهرَ فيه وجهُ الصّواب أُصلِح ، لأَنَّ القليلَ إلى جنب الكثير مَعفُوٌّ عنه ، والكتب القديمة عن الأَئمة الذين يُقتَدى بهم قلّما تخلو من ذلك .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أَجمعين .

وكتب الحسنُ بن ناصر بن حامد شجاع الهبتىّ الشَّيبانى سنةَ إحدى وتسعين وخمسمائة بمدينة السلام ، وكتب يحيى بن على الخطيب التبريزى سنة أَربعٍ وتسعين وأَربعمائة بمدينة السلام .

وعارضتُ الشيخَ بنسخة بخطّ الأَرزنى وعلامتُه (ن) وبخطِّ أَبى على السُّكّرى وعَلامته (س) وبخطِّ غيرِهما .

* * *

[أَخبار متفرقة عن أَبى تمام]

قال الصولى : حدثنا عبد الله بن الحسين قال حَدَّثنى البحترى قال : سمعتُ أَبا تمام يقول : أَوّلُ شعرٍ قلتُه : « تَقِى جَمَحاتى لستُ طَوْعَ مؤنّبى » . ومَدحتُ بها عَيّاشَ بن لَهِيعة فأَعطانى خمسةَ آلاف درهم . وقيل أَوّلُ شعرٍ قاله : « أَرامةَ كنتِ مَأْلَفَ كلِّ رِيمٍ » . وقيل أَوّلُ شعرِه قولُه فى جعفر الخَيّاط ، ويقَال إنه قالها فى غيره : شَجى فى الحَشَى تَرْدَادُه ليسَ يَفْتُرُ » : وعن الحمدونى أَنه قال : سَمِعتُ أَبا تمام يقول أَنا ابنُ قولى :

نَقِّلْ فؤادَك حيثُ شِئْتَ مِنَ الهَوى ما الحُبُّ إلاَّ لِلحَبِيبِ الأَوّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فى الأَرضِ يَأْلَفُه الفَتَى وحَنِينُه أَبَدًا لِأَوّلِ مَنْزِلِ

وقيل كان أَبو تمام إذا كَلَّمه إنسانٌ أَجابَه قبل انقضاءِ كلامِه كأَنَّه قد عَلِمَ ما يقول فأَعدَّ له جَواباً ، فقال له رجل : يا أَبا تمام ، لِمَ لا تَقولُ من الشِّعرِ ما يُعْرفَ؟ فقال له : وأَنتَ لِمَ لا تعرِفُ مِنَ الشعر ما يُقَال؟ فأَفحمَه. وحُكى عن الجمل المِصْرى أَنه قَال : ما رأَيتُ أَذكَى من أَبي تمام. خرجنا جميعاً إلى شاطئ النيل بمصر ودفَعنا ثِيابُنا إلى قِبْطية لِتَغسلَها ،ونِمْتُ أَنا وجَلَسَ هو ومعه شِعْرُ الطِّرماح ، فما فرغَ من دَقِّ ثيابه حتى حَفِظَ له خمسَ عشرةَ قصيدة . والجمَلُ المصرى كان شاعرًا راوية . وقال : كان لأَبى تمام مِطْرفُ خَزّ يُسَاوى خمسةَ دنانير ، وكنا بِدمشق ، فخرجَ يوماً شَدِيدَ البَرْدِ مخمورًا وهو عليه ، فاعتَرضَه بعضُ الشَّحاذين ،وذكرَ أَنه غَرِيبٌ قُطِعَ عليه الطريق وعُرِّى ، فأَلقَى عليه المِطْرف ، فقلتُ : إنه كان يَكفِيكَ أَن تَهَبَ له درهماً ، فقال : لستُ إذْن من طَيّ ! ! وكان دِثَارَه بالليل ، فلمّا نامَ جعَل يشكو البَرْد فقتُ له : إنتَفِضْ وَكُنْ مِنْ طَيّ ! وقالَ بعضهُم : حضَرتُ أَبا تمام وقد وُصِلَ بمئتى درهم فدفَع إلى رجلٍ مائة . . وقال : خُذْ هذه يا أَخى ، فظنتُه أَخاه ، ثم قِيلَ لى إنه صَدِيقٌ له ، واستبنتُ منه خَلَّةً ، فعذَلْتُه على إعطائه ما أَعطى وقلتُ له : لو كان شقيقَكَ ما عَذرتُك مع اضطراب حالِك ، فقال :

ذُو الودِّ منِّى وذُو القُرْبَى بِمَنْزِلَة وإِخْوَتى أُسْوَةُ عندى وإِخوانى

الأبيات . . .

وقيل إنَّ أَبا تَمَّام مِن بنى عَدِىّ بن عَمْرو بن الغَوْث من طَيِّ . وقيل كان أَبوه نصرانيًّا من أَهل جاسِم ، واسمُه تَدُوس فصَيَّرَه أَبو تمام أَوْساً . وممّا

يَدلُّ على أَنَّ أَباه كان نَصرانيًّا ما قال فيه أَبو الوليد يَهجوه من أَبيات :

لو أَنَّ عبدَ مَنافٍ فى أَرومتهم ... تَقبَّلَوكَ لما ضَرُّوا وما نَفَعوا

مِرْباعُ قومِكَ ناقوسٌ وشَمْعَلةٌ ... فاذكُرْ مَرَابِيعَهمْ فيها إذا ارتبعوا

ويُقال إنَّ اسمَ أَبيه كاوُس ، وفيه يقول أَحمد بن محمد الخثْعمىّ :

ولقد طلبتَ أَباً فأَعجزَ وَجْدُه ... حتّىَ انبرَى لك كاوُس الخمَّارُ

فحذَفْتَ كافاً كنتَ تعلمُ أَنها ... إن زِدْتَها لِقَصيدتيك زِيَارُ[1]

وله يقول أَيضاً :

لا تَدْفَعنَّ بِكاوسٍ جَبَلاً فَلوْ ... دَافَعتَ رُكْنَ بَعُوضَةٍ لم تَدْفَع

ومَوْلِدُه سنةَ اثنتين وتسعين ومائة ، ومات سنة ثمانٍ وعشرين ومائتين: وتَعلَّم الشعرَ بمصر ، ثم طَرَأَ إلى المَوْصل ، وقَدِمَ العراقَ ، فأَقام بها مُقاماً طويلاً ، ثم رَحَل إلى خُراسان .

وكان رجلاً طُوَالاً حُلْوَ الكلام فَصِيحاً ، وكان تَمْتَاماً إذا تَكلَّم ، فإذا أَنشد استوى لسانُه ، وكان لَفْظُه لفظَ الأَعراب .

وكان فى أَوّل أَمره مُنقطِعاً إلى بنى عبد الكريم الطائيين بِحمْص ، وكانوا مُحسنين إليه فمَدَحَهم ، وهَجاهم عُتْبَةُ بن أَبى عاصم الحِمْصىّ فعَارَضَه أَبو تمام وهَجَاه ، ثم انتقل إلى مصر فمدحَ بها عَيّاشَ بن لَهِيعةَ الحَضْرمىّ ، وأَقام عنده مدةً يستبطئه ويستزيده ، فلم يَنَلْ منه خَيْرًا ، ومات عَيّاش فهجَاه بعد موته . ثم سار إلى دمشق فمدحَ بها أَبا المغيث موسى بن إبراهيم الرَّافقى فلم يَنلْ منه خَيرًا ، ثم هَجاه ، وسار إلى المأْمون فى بلاد الشام فمدحَه بقصيدتين فما وجَدَ مَنْ يُوصلهما إليه ، ثم سارَ إلى العراق فى خلافة المعتصم .

وحَدَّثَ علىُّ بنُ محمد بن عبد الكريم قال : لما صار إلينا أَبو تمام

---

(١) الزِّيار ما يوضع فى فم الدابة لتكبل به .

مَقْدِمَه من مصر عَمِلَ قصيدته التى أوّلها : أَرامَةَ كنتِ مَأْلَفَ كلِّ ريم : فاتصل خبرُها بِعُتْبةَ بن أبى عُصَيْم الذى يَهجوه أبو تمام، وهو كلبىّ مِن قُضَاعةُ ، وكان عالماً أديباً شاعرًا ،فأَحَبَّ أن يسمعَ هذه القصيدةَ من أبى تمام ، فقال لِمَنْ حَضَره : إيتونى به ، فجاءوه به ، فأَنشدَه إيّاها ، فلمّا فَرغَ من إنشاده قال : أَحسنتَ يا غُلام على صِغَرِ سِنِّك ! فسكتَ أبو تمام ثم قال : يا عمِّ . أَنشِدْنى مِن شِعْرك ، فأَنشدَه قصيدة ، فلمّا فرغ قال : يا عمّ ما أَحسنتَ على كِبَرِ سِنِّك ! فقال عُتْبَة لبنى عبد الكريم : أَخرجوا هذا مِن بلدنا فليس يَصلُح أَن يُقيمَ معى فى بلد . وأَولاد عبد الكريم يَزعمون أَنَّ أَبا تمام أَدَّبهَم وكان يختلف إليهم ، وهم يفتخرون بذلك .

وكان عمرو بن بحر الجاحظ. يقول : أَبو تمام أَحدُ جَهابذة الكلام ونُقَّاد المعانى ، وفى شعره الرّائِقُ الذى لم يُسبق إليه، والفَخْمُ الجَزل الذى لم يُشارَك فيه ، ومنه ما سَخُفَ لفظُه وجادَ معناه ، ومنه ما جادَ لَفْظُه وسَخُفَ معناه ، ومنه ما سَخُفَ لفظُه ومعناه . وكان يَذْهب مَذهبَ مُسلِم بن الوليد وغيره من أَصحاب البَدِيع ، بل لم يكن أَحدٌ أَلزمَ لطريقِ البديع ولا أَقلَّ حِيَادًا عنه منه .

وقال عبد الله بن المعتز : جاءنى محمد بن يزيد المُبرِّد فأَفضنا فى ذِكْر أَبى تمام ، وسأَلتُه عنه وعن البحترى فقال : لأَبى تمام استخراجات لطيفة ومعان ظَرِيفة لا يقول مثلهَا البحترى ، وهو صَحِيحُ الخاطر حَسَنُ الانتزاع ، وشعرُ البحترى أَحسنُ استواءً ، وأَبو تمام يقول النادرَ والبارِدَ ، وهذا المَذْهبُ كان أَعجبَ إلى الأَصمعى ، وما أُشبِّه أَبا تمام إلاَّ بغَوّاصٍ يُخرِجُ الدُّرَّ والمَخْشَلبة – وهى الزُّجاجةُ تُعمل مكانَ الدُّرة – ثم قال : واللهِ إنَّ لأَبى تمام والبحترى مِن المحَاسن ما لو قِيسَ بأَكثر شعرِ الأَوائل ما وُجِدَ فيه مِثْلُه .

* هنا انتهت نسخة ش .

وقال البحترى : لو رأيتَ أبا تمام لرأيتَ أكملَ الناسِ عقلاً وأدباً ، وعلمتَ أنَّ أقلَّ شيءٍ فيه شعرُه ! وقيل ما كان أحدٌ من الشُّعراء يَقدِرُ أن يأْخذَ دِرْهماً فى أيّام أبى تمام فلمّا مات اقتسم الشُّعراءُ ما كان يأخذُه .

وقال المُبَرِّد : سمعتُ الحسن بنَ رجاء يقول : ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بجيِّد الشعرِ قَدِيمه وحَدِيثه من أبى تمام ، [كان] ينتخبُ أشعارَ المُحدَثين فمرَّ به شعر ابن أبى عُيَيْنَة المطبوع ، فنظرَ فيه ثم رَمَى به وقال : هذا كلُّه مُختار جيِّد . قال الصولى : وهذا أدَلُّ دليلٍ على عِلْم أبى تمام بالشِّعر لأنَّ ابنَ أبى عُيَيْنَة أبعدُ الناسِ شَبَهاً به ، لأنَّه يَتكلَّمُ بطبعه ولا يَكُدُّ فكره ، ويُخرج ألفاظَه مَخْرجَ نفسِه ، وأبو تمام يُتْعِبُ نفسَه ويَكُدُّ طبعَه ويُطِيلُ فكرهَ وَيتتبعُ المعانى ويَستنبِطُها ، ولكنه قال هذا فى ابن أبى عُيَيْنَة لعلمه بِجيِّد الشعر أى نحوٍ كان .

وقال المُبرِّد : قال لى عِمَارة بن عَقِيل يوماً ! أنشِدْنى من شعر هذا الذى فُتنتم به ، الطائى ! فأنشدتُه أشعارًا استحسَنها كلَّها ، فلمّا بلغتُ إلى قوله :

أُناسٌ إذا ما استحكم الرَّوْعُ كَسَّروا صُدُورَ العَوَالى فى صُدُورِ الكَتائب

قال : لِلهِ دَرّه ، ما أحسنَ رَدّاته[1] ! كان جَرِير يُحِبّ مثلَ هذا ، أما سمعتَ قوله :

أَلم تَرَ أنَّ الله أخزَى مُجاشِعــاً إذا ما أفاضَتْ فى الحديث المجالسُ

وما زالَ مَعْقُولاً عِقَالٌ عن النَّدى وما زالَ مَحْبُوساً عن المَجْدِ حابِسُ

وحُكى أنَّ أبا تمام قال : شِعْرى واللهِ يُشبه هذا ، إلاَّ أننى أكثرتُ منه .

وقيل لمّا وَلِىَ محمد بنُ طاهر خراسان دخَل إليه الناسُ لتهنئته فكان فيهم تَمّامُ بنُ أبى تمام الطائى فأنشدَه :

---

(١) كذا بالنسخة ل ، ومعناه المفهوم من سياق الكلام جناسه .

هَنَّاكَ رَبُّ النَّاس هَنَّاكا ما مِنْ جَزِيلِ المُلْكِ أعطاكا
قَرَّتْ بِما أُعطِيتَ ياذا الحِجَى والباسِ والإنعامِ عَيْناكا
أشرقتِ الأَرضُ بما نِلْتَه وأَورَقَ العُودُ لِنَجْواكا

فاستضعفت الجماعةُ شِعْرَه وقالوا : يا بُعْدَ ما بينَه وبينَ أبيه ! فقال محمد لعبد الله بن إسحق ، وكان يُعَرِّفهُ الناسَ وهو على أمرة : قُلْ لِبعض شُعرائِنا أَجِبْه ، فقامَ رجلٌ فى المجلس فأَقبلَ على تَمّام فقال :

حَيَّاكَ ربُّ الناسِ حَيَّاكا إنَّ الذى أَمّلتَ أخطَاكا !
مدحتَ خِرْقاً مُنْهِباً مالَه ولو رَأَى مَدْحاً لَوَاساكا
فهاكَ إنْ شئتَ بها مِدْحةً مثلَ الذى أَعطيتَ أعطاكا !

فقال تَمّام : أَعزَّ اللهُ الأَمير ، إنَّ الشَّعر بالشِّعر رِباً فاجْعَل بينهما رَضْخاً [1] من الدراهم حتى يَحِلَّ لى ! فضحكَ محمد وقال : إنْ لم يكن معه شِعْرُ أبيه فمعَه ظَرْفُه ، أُعطوه ثلاثةَ آلافِ درهم ، فقال عبدُ الله بن إسحق : ولقولِ أبيه فى الأَمير عبد الله بن طاهر :

أَمطلِعَ الشمسِ تَنْوِى أَنْ تَؤُمَّ بنا فقلت كلاَّ ولكنْ مَطلِعَ الجُودِ

ثلاثة آلاف أخرى ؟ قال : ويُعطَى ذلك ! فأَخَذ ستة آلاف درهم .

وحُكى عن أَبى بكر بن دُريد أنه قال : رأَيتُ أَبا تمام فى النوم فقلتُ له : ما أَردتَ بقولك : كذا فَلْيجِلَّ الخَطْبُ وَلْيفدَح الأَمْرُ ؟ فقال : ليس هذا أَوّلَ قصيدتى ، فأَوّلُها :

حَرَامٌ على عَيْنٍ يَجِفُّ لها شَفْرُ وأَن تُطْعَمَ التَّغْمِيضَ ما بَقِىَ الدَّهْرُ

وبعده : كذا فَليجلَّ الخطبُ . . . البيت .

* * *

(١) « الرَّضخ » العطية القليلة ، يقال رضخ له من ماله أى أعطاه .

بَلغَ من أوّله قِرَاءَةً على الشيخ الأَجَلّ الإمام أَبى زكريا يَحيى بن على الخَطِيب التِّبريزى ، أَطال الله بَقاءه .

هو موهوب بن أَحمد بن محمد بن الخِضْر الجَوَاليقى ، وسمع الشيخ أَبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن على ، والشيخ أَبو الثناء هِبَة الله بن محمد الفارسىّ . وذلك فى ربيع الأَول من سنة أَربع وتسعين وأَربعمائة ، بَلغَ من الأَوّل إلى الآخر نقلاً وقراءَةً على الشيخ الإمام أَبى زكريا يحيى ابن علىّ أَدامَ الله عُلوَّه ـ أَبو القاسم عبدُ الملك بن أَبى بكر الغرّكى وأَبو الوفاء أحمد بن عبد الواحد العَبْدكُونى القَزْوينى ، وذلك فى مدّة آخرها سنة إحدى وخمسمائة .